لقد غلب في التراث المعجمي العربي منهج التدوين أو "الوضع" الذي يشتمل كما سبق ذكره في الدروس السابقة، على الترتيب والتعريف، وكان للعرب القدامى الريادة في تصنيف المعاجم على اعتبارها فناً صناعياً بل علما قائما على أسس نظرية ترتكز على نظم اللغة العربية من حيث (الأصوات والصرف والنحو والمعجم).

وقد صنف التأليف المعجمي عند العرب بحسب التعميم والتخصص، وبالتالي تنقسم المعاجم العربية إلى قسمين:

1. **المعاجم اللغوية العامة**: أكثرها عددا وأوسعها انتشارا وأشهرها ذكرا، ويتم فيها تدوين ألفاظ اللغة العامة التي استعملها الفصحاء من العرب سواء في البوادي أو في الحواضر.

2. **المعاجم المختصة**: وهو النوع الذي سيتم التركيز عليه في هذا الدرس، وهي معاجم وضعها العلماء، لا تشمل على ألفاظ اللغة العامة بل تحتوي على مصطلحات العلوم والفنون، ويعد هذا الصنف من المعاجم أقل شهرة من المعاجم اللغة العامة، حيث إنّها كانت متداولة ومشهورة ومعروفة عند جمهور العلماء المتخصصين في العلوم والفنون التي ألفت في مصطلحاتها.

وقد ظهر من خلال المعاجم المختصة مصطلحات علمية وفنية في العربية بعد العصر الذي جُمعت فيه اللغة الفصحى وهو ما يسمى بـــ(عصر الاحتجاج)، ويعود ظهور هذه المصطلحات العلمية والفنية إلى الثقافة العربية المستحدثة أنذاك، بحيث إنّها علوم أعجمية دخيلة ترُجمت إلى اللغة العربية، ولذلك «عُدتّ المصطلحات التي استُعملت للدلالة عليها، من المولّد الذي لا يسمو سموَّ العربي الصريح الفصيح من الألفاظ» (إبراهيم بن مراد، المعجم العربي المختص).

ولا يزال جلّ نصوص تلك المعاجم المختصة مخطوطا فنياّ في مكتبات العالم، وما صدر منها تم إخضاعها للتحقيق، حيث يدخل عليها المحققون ضروبا من التبديل والتغيير. كما يتطلب العناية بهذا النوع من المعاجم معارف عالمية قديمة تراثية وحديثة.

لم تحظ المعاجم المختصة، حسب الباحثين في هذا المجال ،بما حظيت به المعاجم اللغوية العامة من الشهرة والذكر، ولم يعن بها القدماء والمحدثون بما فيه الكفاية، حيث «بقيت في البحث اللغوي العربي بابا غُفْلا، ومبحثا بكرا، على أهميته وطرافة التجربة العربية فيه، وتفرّده بخصائص وميزات تفيد اللغة العربية اليوم إفادة كبيرة» (إبراهيم بن مراد، المرجع نفسه).

1. **نشأة المعاجم العربية المتخصصة:** يعود ظهور المباحث المعجمية عند العرب إلى بدايات القرن الأول الهجري /السابع الميلادي، إذ اهتم المسلمون في هذه الحقبة بمفردات القرآن خاصة الغريب منها، فبحثوا في دلالاتها اللغوية الدقيقة، ويعد "عبد الله بن عبآّس(ت 68هـ /687م)" رائد الدرّاسات اللغوية للنصوص العربية وهو من الأوائل الذين اهتموا بتفسير مفردات القرآن خاصة الغريب منها.

وقد ظهرت كتب في التفسير كانت لها قيمة لغوية معجمية منها: "معاني ألفاظ القرآن" لعلي بن عبد الله بن عباس (ت 117ه/736،735م)، و"غريب القرآن" لأبي سعيد إيان بن ثعلب (ت141ه/758م)، و"تفسير القرآن" لمحمد بن التائب الكلبي (ت146ه/463م)، و" تفسير في متشابه القرآن" لابي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت150ه/767م)، وقد هيئت كل هذه الشروح والتفاسير الخاصة بغريب القرآن ومعانيه للمعجمية العربية وذلك منذ القرن الأول الهجري، ويعد "كتاب العين" أوّل معجم لغوي عام مكتمل العناصر والأركان في اللغة العربية، وظهرت بعده معاجم لغوية عامة أخرى في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريين ،مثال " كتاب الجيم" لابي عمرو الشيباني (ت حوالي 210ه /825م) و"الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت 223ه/839م)، وتنفرد هذه المعاجم بمنهجية خاصة بها، خاصة من حيث التركيب، لأنها تم ترتيبها ترتيبا ألفبائيا أو حسب المواضيع والمعاني.

لقد اتبع أبو عبيد في معجم "الغريب المصنف" منهجا يوافق بين طريقتي الخليل والشيباني، إذ قسّم كتابه إلى مجالات معينّة، ورتبّ المادة المعجمية حسب المواضيع أو حسب المعاني مثل: " كتاب خلق الإنسان"، و"كتاب النساء" و"كتاب اللباس"، و"كتاب الأطعمة"، و" كتاب اللبن ،"و"كتاب الأمراض"، و" كتاب الخيل"، و" كتاب السلاح"، و" كتاب الطير"، و:تاب الهوام ،"ولذا يعد صاحب معجم "الغريب المصنف" من الأوائل الذين فتحوا اتجاها جديدا في التأليف المعجمي العربي، وهو بمثابة النواة الأولى للمعجم العلمي المختص في اللغة العربية.